المؤمن بين الدنياوالآخرة

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ...) [التوبة:111] ، إن المؤمن الذي لامس الايمان شغاف قلبه واستقر الايمان في قلبه حتى اينعت تلك الشجرة تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، هذا المؤمن كلما رأى شيئاً من أمور الدنيا تذكر به أمر الآخرة ،فإذا ما رأى الحدائق الغناء والبساتين الجميلة تذكر جنة الرحيم الرحمن جل وعلا التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وإذا نظر الى نار الدنيا تذكر بتلك النار نار الاخرة التي هي أشد وأعظم من نار الدنيا بتسعة وستين جزءا ، كلهن مثل حرهن كما اخبر بذلك الصادق الذي لا ينطق عن الهوى –صلى الله عليه وسلم – ،واذا ما نام المؤمن ووضع الفراش على وجهه تذكر بذلك ظلمة القبر وضيق القبر وعذاب القبر ، فكلما رأى شيئاً من أمور الدنيا تذكر به أمر الاخرة ، واذا ما رأى تلك المآسي التي يعيشها طلاب الدنيا وتلك الشدائد التي يلقاها من يمتحن في الدنيا فإنه يتذكر بذلك امتحان الآخرة ، وشتان شتان بين امتحان الدنيا وامتحان الآخرة، فان العبد اذا رسب في الدنيا فان الرسوب يعقبه نجاح اما اذا رسب العبد في الآخرة فليس امامه الا النار _اعاذنا الله واياكم منها_.

ولذا لما لقي الفضيل بن عياض – رحمه الله –لقي رجلا غافلاً عن طاعة الله جل وعلا فقال: ايها الرجل كم عمرك؟ قال: عمري ستون عاما، فقال: انا لله وانا اليه راجعون فانت منذ ستين عاماً وانت تسير الى الله، يوشك ان تلقاه، فقال الرجل: انا لله وانا اليه راجعون، قال له الفضيل: هل تعلم معنى تلك الكلمة؟ قال اجل !اعلم اني ملك لله واني إليه راجع، فقال الفضيل: فمن علم انه ملك لله وانه اليه راجع فليعلم انه بين يديه موقوف، ومن علم انه بين يديه مسؤول فليعد للسؤال جواباً، فاراد ان يستحضر في ذهن هذا الرجل امتحان الاخرة لكي يرجع ويتوب الى الله عز وجل، فقال الرجل للفضيل: فما الحيلة يرحمك الله؟ قال له الفضيل: الحيلة يسيرة، ان تتقي الله فيما بقي يغفر لك الله ما قد مضى وما قد بقى.

روى البيهَقِيُّ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قالَ لمعَاذِ بنِ جَبَلٍ:"إياكَ والتنعُّمَ فإن عِبَادَ اللهِ ليسُوا بالمتنعِّمينَ"

والتنعُّمُ: هُوَ الاستمرَارُ بالتلذُّذِ بالطعامِ والشرابِ ومَفَاخِرِ الثيابِ ونحوِ ذلكَ، أمَّا إذا كَانَ في بعضِ الأوقاتِ يأكُلُ الطَّعَامَ اللذيذَ أو يلبَسُ اللباسَ الجميلَ لا بأسَ في هذا لا يكونُ تنعُّمًا، وذلكَ لأنَّ التنعُّمَ يحُولُ بينَ الشخصِ وبينَ تقْديمِ ما يَنْفَعُهُ لآخِرتِهِ، ولأن حُبُّ الدُّنيا إذا اسْتَوْلى على القَلبِ هَانَ على صَاحِبِهِ كُلُّ المفَاسِدِ.

إياك أن تكون الدنيا جل همك، ومبلغ علمك، ومحط رحالك، والله عز وجل أثبت للكفار أنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:7]

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ لأَصْحَابِهِ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ .....، الى أن يقول وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا ...

ما يتفوق المؤمن إلا بتعلقه بالآخرة، دائماً المؤمن بكل موقف عنده سؤال: ماذا سأجيب الله يوم القيامة عن هذا العمل؟ يهمه أن يجيب الله إجابة صحيحة.

الجمع بين واجبات الدنيا ومتطلبات الآخرة دليل إمتلاء القلب بالإيمان، أما حينما تحملك الدنيا على معصية، أو على ترك فريضة، أو على ترك واجب، فقد استحوذت على القلب، وانتقلت من اليد إلى القلب وهنا دق جرس الخطر، (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...) [التغابن:14]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [المنافقون:9]

المؤمن الذي علم أن الدنيا ممر لا مستقر، وعمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " أَخَذَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ في الدُّنْيَا كَأنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وكانَ ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ". رواه البخاري

وبذلك حسن عمله وقل خطأه، واستمتع دون إن يفرط بآخرته، اثنى الله عليه وقال فيه: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:37]

الخليفة عمر بن عبد العزيز، يروى أنه دخلت عليه فاطمة زوجته، فقالت: ما لك تبكي؟ فقال: دعيني وشأني، قالت له ثانية: ما لك تبكي؟ فقال: دعيني وشأني، فلما ألحت عليه، قال: يا فلانة، تأملت في الفقير الضائع، وفي العيال الكثير والدخل القليل، وفي ابن السبيل، وفي الشرك الكبير، وفي الأرملة والمسكين، والطفل الصغير، واليتيم..... ذكر أصنافاً عديدة جداً، قال: فعلمت أن الله سيسألني عنهم جميعاً، وأن خصمي دونهم رسول الله- ﷺ -، فخفت ألا تثبت حجتي فلذلك أبكي.

عمر سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشارة بالجنة وانه من العشرة المبشرين، يسأل حذيفة بن اليمان: بربك يا حذيفة اسمي بين المنافقين؟ ما تفسير ذلك؟ من شدة خوفه من الله نسي بشارة رسول الله، وخاف أن يكون منافقاً.

علامة المؤمن أنه قلق من ألا يكون في المستوى المطلوب للإيمان، تجده دائما يحاسب نفسه ويراقبها ويعاتبها، تواب آواب منيب، يسير بجناحين الخوف والرجاء يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، إن أحسنوا علموا انه بفضله ورحمته سألوه القبول، وإن أساؤوا وأذنبوا خافوا وبكوا وسألوه محو الذنوب، فهم دائما قريبين من ربهم يحبهم ويحبونه فيخشون البعد والاقصاء، تجدهم أقرب ما يكونون من القول الطيب والعمل الصالح وأبعد ما يكون عن القول القبيح والعمل

السيء، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:70]

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:17]

يكثرون من الصالحات متمنين محو السيئات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ...﴾ [هود:114]

وحتى تكون الدنيا مزرعة المؤمن للاخرة لا بد من ملازمة ذكرى الدار الاخرة ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ...﴾ [ص:45]

كل شيء في الدنيا يذكره بالآخرة مثال يوم حار شديد الحر، ولا يوجد اي وسيلة لتبريد، كيف يكون حال الناس؟ تلهج ألسنة الموحدين الله آجرنا من نار جنهم، ويذكروا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَاشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ". رواه البخاري

وهذا من لطف الله بالمؤمن حتى تتحرك القلوب بتصور اليوم الآخر، وتتفكر العقول كيف يحشر الناس يوم القيامة حفاة، عراة، غرلا، غير مختونين، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:4]

ويقول في نفسه هذا حر الدنيا والشمس بعيده عن الارض فكيف إذا كانت قريبة منهم مقدار ميل قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ " ، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ : فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ ، قَالَ : " فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا " ، قَالَ : وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ .

هذا العرق في الدنيا من شدة الحر يدفعك الى اجل العبادات وهو الدعاء، وقد ورد عن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من سألَ اللَّهَ الجنَّةَ ثلاثَ مرَّاتٍ قالتِ الجنَّةُ: اللَّهمَّ أدخلهُ الجنَّةَ، ومن استجارَ منَ النَّارِ ثلاثَ مرَّاتٍ، قالتِ النَّارُ: اللَّهمَّ أجِرْهُ منَ النَّارِ ". صحيح الترمذي

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج:4]، يقف الناس خمسين ألف سنة بلا طعام، بلا شراب، بلا ظل، حتى يسألون عن الظل، أين الظل؟ يقال للكفار انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ فإذا انطلقوا وجدوه ظل دخان النار كما قال مجاهد، بخلاف المؤمن التقي من كان يسير بلباس التقوى خوفاً من الجليل وعمل بالتنزيل واستعد ليوم الرحيل،﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[المرسلات:41-44]، أي في ظلال الأشجار وظلال القصور ، لا كالظل الذي للكفار من الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه، ولا يغني من اللهب يعني: ولا يقيهم حر اللهب.

هذا اليوم يريد الظالم ان يعقد صفقة بان يضحي بكل أهل الأرض في مقابل ان ينجو هو وحده ويدخل جنة نتخيل هذا المشهد العجيب! إذا كان شديد على الانبياء فكيف على من هم دونهم في المنزلة، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج:11-14]

في حديث الشفاعة الطويل ان الناس يلجؤون الى الانبياء والمرسلين لكي يسألوا رب العالمين ان يبدأ الحساب في ذلك اليوم الطويل وكل الانبياء باستثناء الحبيب محمد -صلى الله عليه وسلم -، الكل يقول: نفسي نفسي اذهبوا الى غيري" رواه مسلم

حتى انه في خارج رواية الصحيح يقول عيسى عليه السلام: لا أساله اليوم إلا نفسي لا أساله مريم التي ولدتني.

يجب اغتنام كل لحظة في الحياة استعداداً لهذا اليوم فالكل يفر من أحبابه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:34-37]

هذا اليوم سيكون فيه تتويج من ابيضت وجوههم باعوا الدنيا لأجل الاخرة وستكون الحسرة والندامة لمن باع الاخرة لأجل الدنيا الفانية.

فتأملي معي احوال الناس في أمور الدنيا، وفي امتحان الدنيا، فمنهم من إذا علم انه نجح فانه يسفر وجهه ويبتسم ويسعد سعادة ما بعدها سعادة، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:19-24]

ومنهم من إذا علم انه رسب يسود وجهه وتعلوه الكآبة والحزن على هذا الرسوب، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:25-29]

إن الذي يحدث في الآخرة أعظم وأشد من ذلك، فإن العبد إذا سعد يوم القيامة فانه يسعد سعادة لا شقاء بعدها ابدا، قال رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ يُدْنِي المؤْمِنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيَقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتَّى إذَا قَرَّرَهُ بذُنُوبِهِ، ورَأَى في نَفْسِهِ أنَّه هَلَكَ، قالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وأنَا أغْفِرُهَا لكَ اليَومَ، فيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ". صحيح بخاري

وينطلق العبد ويأخذ كتابه بيمينه فيفتح الكتاب فإذا فيه الصلاة والحج والصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذا فيه الحجاب الذي تحجبته المسلمة واذا فيه صلة الارحام واذا فيه بر الوالدين ،فينطلق في أرض المحشر وقد أشرق وجهه حتى اصبح أضوء من الشمس في وضح النهار ، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:19- 24]

أما الصنف الأخر عياذا بالله فإن العبد إذا جاء أمام الله جل وعلا ووضع عليه كنفه وستره وقال: عبدي قد فعلت كذا وكذا في يوم كذا وكذا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا أَضْحَكُ؟ " قَالَ : قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ قَالَ : يَقُولُ : بَلَى ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ : فَيَقُولُ : فَكَفَى بِنَفْسِكَ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ : انْطِقِي قَالَ : تَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : بُعْدًا وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة:25-37]

لماذا يعذب ما السبب؟؟ انه كان لا يؤمن بالله العظيم!!

فالسعادة كل السعادة في ان تنجح في امتحان الاخرة والشقاء كل الشقاء ان ترسب في امتحان الآخرة، فاذا ما أنقسم الناس في امتحان الدنيا الى حزين وسعيد فإن الناس في أمر الآخرة ينقسمون الى قسمين لا ثالث لهما، وشتان شتان بين النجاح في الدنيا وبين النجاح في الآخرة، كما قال تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس:38-41]

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:22-25]

يوم القيامة يسألنا الله عزوجل عن كل صغير وكبير عن امنا عائشة ان النبي -صلى الله عليه وسلم " مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ " رواه البخاري

حتى ولو كان من اهل الجنة، مجرد مناقشة الحساب عذاب ان تقف بين يدي الله جل وعلا ويسألك عن كل صغير وكبير، كما قال تعالى:﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: 49]

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [ال عمران:30]

والله سنسئل يوم القيامة عن كل شيء، فلا تحزن على فوات الدنيا بكل ما فيها فالدنيا كلها حقيرة كما أخبر الحبيب المصطفى - ﷺ -كما عند الترمذي باسناد حسن" الدُّنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ اللهِ وما والاه، وعالِمًا أو متعلمًا" صحيح الجامع

وقال- ﷺ -: "لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ". صحيح الترمذي

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ:"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاه". صحيح مسلم

وكان أكثر دعاء النبي – ﷺ – كما في الصحيحين (اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا) (اي ما يكفي لقوت اليوم) وفي الصحيحين ان أمنا عائشة قالت توفي رسول الله – ﷺ – ودرعه مرهونة عند رجل يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير.

بل وعند الترمذي ان أصحاب النبي دخلوا عليه فوجدوه نائماً على الحصير وقد أثَّرَ الحصير في جنبِهِ –صلى الله عليه وسلم – وإذا بابن مسعود –رضي الله عنه – ينفعل مع هذا الموقف ويقول له يا رسول الله: لوِ اتَّخَذنا لَكَ وطاءً (فراشا لينا) فيقول – ﷺ –:"ما لي وما للدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ استَظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وتركَها"

سنسأل عن عمرنا، وعن شبابنا، وعن مالنا، وعن علمنا، كما قال – ﷺ –:"لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ، وعن عِلمِهِ فيمَ فعلَ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ" صحيح الترمذي

سنسأل عن السمع والبصر والفؤاد قال جل وعلا: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:36]

سنسأل عن سمعنا، وعن البصر وعن الفؤاد هل تعلقت قلوبنا بغير الله أم أن قلوبنا كان متعلقا بالله جل وعلا، فعلمت يقينا أنه لا نافع ولا ضار الا الله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الدنيا كلها لو اجتمعت على أن ينفعوك فلن ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك فلن يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف.

سنسأل عن رعيتنا، بعدما نسأل عن أنفسنا بين يدي الله عز وجل، فلو كنت من أهل الفردوس الاعلى ثم كنت مضيعا لرعيتك لدخلت النار _ اعاذنا الله واياكم منها _ تسأل عن كل هذا، ففي الصحيحين أن النبي – ﷺ –:"كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ"

نسأل أنفسنا هل أمرنا بناتنا بلبس الحجاب؟ هل أمرنهن بالحياء والصلاة؟ هل أمرنا أولادنا بالصلاة وحفظ القرآن؟ هل دللناهم على طاعة الواحد الديان؟ هل أخذناهم الى أماكن اللهو والمجون وأبعدناهم عن الرب الرحيم جل وعلا؟ سنسأل عن كل هذا قال جل وعلا ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

سنسأل عن النعيم الذي تعيش فيه الآن، انظري الى أحوال النبي وأصحابه هل تعلمي أن النبي – ﷺ –:" ربط على بطنه حجرا من الجوع! فأين نحن من النعيم الذي تعيش فيه الان، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:8]، في الحديث الذي رواه الترمذي باسناد حسن أنه لما نزلت تلك الآية قال أصحاب النبي للنبي – ﷺ –: "يا رسولَ اللَّهِ عن أيِّ النَّعيمِ نسألُ وإنَّما هُما الأسْودانِ (التمر والماء) والعدوُّ حاضرٌ وسيوفُنا علَى عواتقِنا فقال– ﷺ – إنَّ ذلِكَ سَيكونُ" ، سنسأل عن الماء البارد وسنسأل عن التمر، فما الظن بالرغد والنعيم الذي نعيش

فيه الآن ولا نجد شاكرا لله الا من رحم الله ،قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:13]،فما الظن بمن يتمتع بأبهى المطعومات والمأكولات والملبوسات وغير ذلك ، ومع ذلك لا نجد أكثر الناس شاكرين لله رب العالمين كما أخبرنا بذلك سبحانه جل وعلا: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } ومع ذلك نجد أكثر الناس الا من رحم الله نجده حريصاً على جمع حطام الدنيا الزائل مع أنه يعلم يقينا أن كثرة المال تعني طول الحساب ، كما قال النبي – ﷺ –:" اثنتان يكرههما ابنُ آدمَ : يكرهُ الموتَ ، و الموتُ خيرٌ له من الفتنةِ ، و يكرهُ قلَّةَ المالِ ، و قِلَّةُ المالِ أقلُّ للحسابِ". الجامع الصغير

فما السبيل للنجاة من امتحان الآخرة؟؟

أولاً: من أسباب النجاة أن نعتصم بالله جل وعلا وأن نلجأ اليه سبحانه تعالى في كل لحظة من لحظات حياتنا، ونستغيث به ونسأله أن ينجينا من كرب يوم القيامة، ومن مواقف وشدائد يوم القيامة: {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ}، لا يملك أي انسان على وجه الأرض أن يغفر لنا ذنبا واحداً فإذا ما علمنا أن الله عز وجل هو غافر الذنب وقابل التوب علمنا يقيناً أنه لا ينجينا من كرب يوم القيامة إلا الله جل جلاله، فما علينا إلا أن نلجأ اليه سبحانه تعالى وأن تقوم بين يديه في ثلث الليل الأخير فقد أخرجه البخاري في صحيحه (1145) ومسلم (1261) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"

وقل من يقوم بين يدي الله جل وعلا مع أن النبي –صلى الله عليه وسلم- دعا بالرحمة لكل من قام من الليل وأيقض امرأته كما في الحديث الذي رواه أبو داوود باسناد صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ وَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ "

قال النبي – ﷺ –:"مَن استيقظَ مِن اللَّيلِ وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّيا ركعتَينِ جميعًا كُتِبا مِن الذَّاكرينَ اللَّهَ كثيرًا والذَّاكراتِ" صحيح أبي داود

لنقم ونتعرض لنفحات الله، لنتوجه الى الله عز وجل ونعتصم به، ولنعلم أنه لا ينفعنا الا الله جل وعلا فأول شيء من أسباب النجاة بامتحان الاخرة الاعتصام بالله.

وثانياً: ومن أسباب النجاة إقامة التوحيد لله جل وعلا وان كان الأصل هو إقامة التوحيد قبل ذلك فالتوحيد هو أصل الأصول، وهو الحسنة التي يغفر الله بها كل ذنب، والشرك هو السيئة التي يحبط الله بها كل حسنة قال تعالى:﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:65]

حديث البطاقة بين لنا عظم نعمة التوحيد وثمرة التوحيد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدِي حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ

أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ؟ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ". رواه الترمذي

ثالثاً: الذي ينجينا من كرب يوم القيامة ومن امتحان الاخرة فهو تحقيق التوكل على الحق جل وعلا قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ...﴾ [الفرقان:58]

المتوكلون على الله هم الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا سابقة كما في الحديث الصحيح قال النبي – ﷺ –: " (فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلامِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ". رواه البخاري

وفي رواية أخرى عند أحمد بسند صحيح أن النبي – ﷺ –قال: "أُعطِيتُ سبعين ألفًا من أُمَّتي يدخلون الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ وجوهُهم كالقمرِ ليلةَ البدرِ، قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، فاستزدتُ ربي عزَّ وجلَّ، فزادني مع كلِّ واحدٍ سبعين ألفًا". صحيح الجامع

اذاً فلنتوكل على الحي الذي لا يموت، فإن أردنا النجاة فلنحقق التوكل على الله عز وجل، وتحقيق التوكل على الله يستلزم أربعة أمور أحاول اختصارها:

الأمر الأول: أن تتعرف على الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فالله عز وجل هو الحكيم الذي يضع الأمور في نصابها، وهو الخبير، وهو العليم، وهو الذي يُحتاج ويفزع اليه الخلائق كلهم، وهو لا يحتاج لأحد من خلقه جل وعلا، وهو لا يضيع عبده المؤمن إذا اعتصم به سبحانه تعالى فإن الله يحميه وينجيه في الدنيا والأخرة.

الأمر الثاني: أن تؤمن ايمانا جازماً بالقضاء والقدر قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49]، فأقدار الله عز وجل هي التي ستسير حتما ولا محالة، قال تعالى: {وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ [يوسف: 21] فما شاء الله كان وما لو يشأ لم يكن، ولذا فان كان الأمر بالنسبة للآجال والأعمار فقد قال الله عز وجل (فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ)[الأعراف: 34]، وقال عز وجل (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)[النساء:78]، فقدر الله سيأتي لا محالة ، وان كان الأمر بالنسبة للأرزاق فقد قال تعالى : (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ [الشورى: 27] وقال تعالى (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)[الذاريات : 22].

وفي رواية أحمد أن النبي – ﷺ –قال: (واعلَم أنَّ ما أصابَكَ لم يكُن ليُخطِئَك وما أخطأَكَ لم يكُن ليُصيبَكَ)

استعن بالله ولا تعجز وان أصابك مكروه فقل قدر الله وما شاء فعل، فان لو تفتح عمل الشيطان، فخذ

بالأسباب، والأخذ بالأسباب لا يقدح في توكل العبد على الله عز وجل، بل ان عدم الأخذ بالأسباب نقص وقدح في توكل العبد على ربه عز وجل.

الأمر الثالث: الأخذ بالأسباب، أن تأخذ بالأسباب، ولكن لا يتعلق قلبك بتلك الأسباب، فقد أخبر النبي – ﷺ – بذلك وقال: "إنَّ الرَّزقَ لَيطلُبُ العبدَ أكثرَ مما يطلبُه أجلُه". صحيح الترغيب، فاذا ما قلت لرجل اجلس في بيتك ولا تعمل فان الرزق سيأتيك لقال هذا الرجل لا، لا بد أن أخرج وأن آخذ بالأسباب فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة فاذا ما خاطبته وقلت له كما أخذت بالأسباب في أمور الدنيا فخذ بالأسباب في أمر الأخرة

فان النبي – ﷺ– كما عند الترمذي باسناد حسن قال "لو أنَّكم كنتُم توَكلونَ علَى اللهِ حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا"

فالله عز وجل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وإذا أخذت بالأسباب ونجحت في هذا الأمر فهذا محض فضل الله

"كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

اذاً فنحن بين امتحان الدنيا وامتحان الآخرة فمن نجح في الدنيا ونجح في الأخرة فليهنأ، ومن رسب في الدنيا ونجح في الأخرة فليهنأ أيضا ومن باع الدنيا كسب الدنيا والاخرة ومن باع الاخرة خسر الدنيا والآخرة.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا ، وَأَبْصَارِنَا ، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا

المراجع: محاضرة الشيخ محمود المصري: المؤمن بين الدنيا والآخرة